واقع الإعلام العربي واختراق الإعلام الغربي

م. م. أنعام عبد الرضا سلطان
جامعة بغداد- كلية الأعلام

المقدمة:

تدعّي الدول بانها تراعي مسألة الحريات الاعلامية والصحافية وانها كلما تتقدم عجلة الحياة وتشهد المعمورة تطوراً تكنولوجياً وفكرياً، فان ذلك يدعم نصيباً كبيراً لحرية الكلمة وتداولها بعيداً عن اية حواجز.

فعلى الرغم من كل البديهيات التي غدت واضحة بشأن تداول المعلومة واتساع دائرة تأثير الاعلام، الامر الذي تدفع البعض الى تسمية الاعلام بـ((الحياة)) فان الحضور المباشر والمؤثر لوسائل الاعلام في برمجه اسلوب حياة المجتمعات اليومية اصبحت ظاهرة مسلماً بها تتطلب التأمل والبحث عن صيغ التعامل معها وتحليل نتائجها وابعادها، فهناك ازدواجية في الاعلام لابد من تشخيصها والتدقيق في نوايا اطلاق المعلومة وازاها.

ان المعلومة التي تردنا عبر فضاءات الاعلام من ساحات مختلفة يجب ان لا تخضع نيات مصدريها، فربما تكون صادقة وحقيقية لكنها ايضا قد تكون مسمومة تستهدف تلويث افكارنا واحباط حرياتنا وأعاقتنا عن مشروع التنمية والنهوض الفكري.

ان هذه النظرية المزدوجة الى الاعلام ينبغي ازاءها التمحيص والتأمل، وفي الوقت الذي يوظف فيه الاعلام كأداة ومعول لهدم جدران المجتمعات واستهداف ارادتها وحقها المشروع في ايصال الكلمة والصورة، فهو يستخدم كسلاح للدفاع عن قضايا التحرر والتنمية.

ومن هنا تتركز نتائج الدراسات المستقبلية في البلدان المتقدمة على ان الاعلام هو سلاح العصر والمستقبل فلابد من العالم العربي والاسلامي التسلح به وخلق منظومة اعلامية ترتبط بحركة المجتمع بصيغة تفاعلية وانسانية مستفيدة من ثورة الاعلام تكنولوجيا الاتصالات.

تحاول هذه الدراسة ان تبين ان الاعلام العربي محاط ومحاصر من قبل المؤسسات الصحفية والاعلامية الغربية والامريكية بشكل خاص حيث تقوم وسائل الاعلام الغربية بتضليل واخفاء الحقائق المعلومات واخماد الكلمة الحرف وارهاب الاعلام وتشويه واقع ما يجري خصوصاً

فيما يتعلق بالولايات المتحدة الامريكية التي تغط العالم بالديمقراطية وانسياب المعلومات حرية الصحافة.

تقوم هذه الدراسة على المنهج التحليلي المقارن واستعمال الارقام التي تؤكد حقيقة المعركة الاعلامية بين العرب والغرب.

وكذلك تقوم هذه الدراسة على فرضية بانه بقدر ما يملكه الغرب من تقنيات وسائل الاتصال والاعلام القادر على فبركة الحقائق والمعلومة الصحيحة، بقدر ما اوجد ذلك حالة فعل ورد الفعل لدى كافة وسائل الاعلام الغربية القادر على دحض مكونات الاعلام الغربي المسيس وظهور التحدي الاعلامي العربي في مواجهة الاستراتيجية الاعلامية الغربية.

اولاً: الحريات العامة في الاعلام العربي:

لاشك في ان تنظيم عمل وسائل الاعلام والاتصال في اطرها القانونية وبما يتيح لها من حرية التعبير والرأي والصحافة وغيرها من اشكال وسائل الاعلام الحرة، تعد من ابرز السمات اللازمة لتحديد هوية ومنهج أي نظام سياسي دولي وديمقراطي، ولاسيما اذا المسعى الحقيقي لبناء مجتمع مدني متحضر مواكباً لحركة النظام السياسي واهدافه وتطلعاته وذلك من خلال توفير فضاء اعلامي واتصالي حر ومستقل وفعال ويمتلك جميع ادوات التقدم اللازمة وفق ثنائية الاعلام والديمقراطية.

١-حرية الرأي والتعبير:

حرية الرأي هي روح الفكر الديمقراطي لانها صوت مايجول بخواطر الشعب وطبقاته المختلفة حتى تعمل الدول على تحقيق رغباته وما يحتاجه من خدمات جاء في المادة ١٩ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان: ان لكل انسان الحق في حرية الرأي والتعبير عن ما يتضمنه من حرية اعتناق الاراء بمأمن من التدخل وحرية التماس المعلومات والافكار وتلقيها واذاعتها بمختلف الوسائل دون تقيد بحدود الدولة[١].

لقد تابعت الحكومات العربية التحايل على التطور التقني في وسائل الاتصال على نحو اتاح تعددية اعلامية بالرغم من القيود المفروضة على حرية الرأي والتعبير في معظم الدول العربية وسيطرة الحكومات على قطاع عريض من محطات التلفزة والصحف المملوكة للدولة. لقد تابعت الحكومات العربية التحايل على هذا التطور الذي فرض عليها من خلال الادوات التشريعية والاجراءات الادارية، فالى جانب اعتمادها وثيقة تنظم البث الفضائي، التي تستهدف حرية عمل الفضائيات تحت شعارات براقة في بداية العالم ٢٠٠٨ وتعزيزها من جانب مجلس وزراء الاعلام

العرب في حزيران ٢٠٠٩ بالتوصية بانشاء مفوضية للاعلام العربي اكدت مبرراتها نفس المخاوف، بادر وزراء الداخلية العرب الى تعديل الاتفاقية العربية لمكافحة الارهاب باضافة ((التحريض)) الى مواد الاتفاقية بنصوص تسمح بادراج العديد من مظاهر حرية الرأي والتعبير تحت طائلة مكافحة الارهاب[٢].

ان اهم مظاهر أي توجه لتنظيم قطاعي الاتصال والاعلام يتطلب توفير المناخ الفكري والثقافي والسياسي الملائم عبر دعم وتشجيع سياسة اتصالية تاخذ بالاعتبار طبيعة المجتمع وخصوصيات النظام السياسي واخلاقيات المهنة.

من الواضح ان حرية التعبير هو حق معترف به في جميع اتفاقيات حقوق الانسان الدولية والاقليمية، وفي مجمل القوانين والمواثيق الدولية، ومنها الاعلان العالمي لحقوق الانسان لسنة ١٩٤٨ الذي نصت المادة ١٩ منه على ((حق كل شخص في حرية الرأي والتعبير)) على ان تشمل ذلك حرية اعتناق الاراء واستقاء الانباء والافكار وتلقيها واذاعتها باي وسيلة اعلامية كانت، من دون تدخل او تقيد من أي جهة، مهما تكن سلطتها في الحدود الجغرافية. لقد تأكد لدى منظمات ونقابات واتحادات صحافية وانسانية دولية وجود تجاوزات ضد حقوق الصحافيين العراقيين على ايدي قوات الاحتلال الامريكية، حيث نفذت اجراءات تعسفية وصلت الى حد التصفية الجسدية او الانتقال لمئات الصحفيين والاعلاميين لمجرد انتقاداتهم في المقالات الصحفية او عبر الفضائيات والاذاعات لموضوعات الاحتلال. حيث ان توغل جهات استخباراتية اقليمية في العراق مستغلة الفوضى العارمة التي جلبها الاحتلال منذ عام ٢٠٠٣ مع وجود جيش من الاجهزة الاستخباراتية الامريكية، جعل الصحافيين هدفاً لعمليات القتل والاختطاف. ويقول بيان لنقابة الصحفيين العراقيين في يوم تكريم شهداء الصحافة العراقية ان أي صحافي يهاجم في مقالة صحافية او لقاء بفضائية جهة سياسية في العراق يكون عرضة للقتل والتصفية. كما ان الاحتلال الامريكي يقف وراء نسبة كبيرة من هذه الافعال الخطيرة على حياة الصحفيين[٣].

وبهذه الجوانب السلبية التي اعترضت حرية الاعلام العربي في الرأي والتعبير واضطراب الحكومات العربية تحت ضغط تصاعد المطالب الشعبية لتوفير بنية تشريعية لاتاحة الحق في المعلومات اتصالاً بمقتضيات الحياة المدنية الحديثة، فقد كشفت المحاولات التي جرت في كل من مصر واليمن وبلدان المغرب العربي ودول الخليج العربي لسن قوانين جديدة لتنظيم تداول المعلومات عن توجه نحو فرض مزيد من القيود على الحق في الحصول على المعلومات اكثر من اتاحتها بحيث يفرغ منها حق الحصول على المعلومات في مضمونه. وجاءت هذه المحاولات دون مستوى المعايير الدولية التي تتطلب الاتاحة والشفافية والمكاشفة ومحدودية الاستثناءات[٤]. وان

استمرار اشكال الانتهاكات النمطية لحرية الرأي والتعبير. من الملاحقة القضائية والاعتداء على السلامة الجسدية للصحفيين والاعلاميين، واغلاق او وقف الصحف او مصادرتها وتزايد قتل الاعلاميين في مناطق الاحتلال والنزاعات المسلحة كل هذا وذاك ادى الى ضعف دور الاعلام العربي في مقاومة كل وسائل اختراق وهيمنة الاعلام الغربي في تسيس قضايا الوطن العربي لصالحه.

٢-حرية الصحافة:

الصحافة الحره هي التعبير الصادق عن الديمقراطية السليمة حيث يقول علماء الاتصال ان الصحافة جزء لا يتجزأ من السياسة بينما البعض الاخر يرى ان الصحافة احد فروع السياسة واذا اهتدينا الى هذا المفهوم علينا ان نلتمس ان الظرف السياسي هو الذي خلق هذا النمط من الصحافة. وتعتبر المرحلة الحالية التي يعيشها الاعلام العربي وما فيها من صعوبة بالغة التعقيد هي من نتائج الفعل السياسي الدولي والاقليمي الموجه لحركة الاعلام المسيس. والذي مارس دور متناقض واتبعد تماماً عن ممارسات مهنة الصحافة على الرغم من تقمصه لدورها. وكان من نتيجة ذلك ردّ الفعل باستهداف الصحافيين من قبل جهات مجهولة في اطار فصل الكراهية والمعاداة للصحافة والصحافيين ما جعلنا نتحدث عن ارقام بالمئات من ضحيا زملاء المهنة.

ان مكامن الفساد والاختراق الاعلامي الغربي توجهت نحو الثقافة والصحافة العربية بهدف تبرير الغزو الثقافي ومحاولة الغاء الاخر وتهمشيه.

وفي المحصلة النهائية، توجه الى العقل العربي تهمه العجز عن مواكبة التطور والتحديث. وكذلك عجز المثقف العربي ايضا عن الانفتاح والتواصل مع الاخرين. بهذا الايجاز بدأت الحملة الفكرية الغربية، لاسيما الامريكية منها على وجه التحديد باستعمار العراق باعتباره قمة الهرم الاهم في المنطقة. ومن ثم النزول نحو المهم في بقية بلاد العرب ومن جاورها من الدول الاخرى. لقد استندت حملة بوش العسكرية الى التمهيد المعلوماتي في ما يتعلق باحلال الموديل الامريكي الجديد المسوغ لمفاهيم الديمقراطية وحقوق الانسان وحرية الصحافة. وهي اهداف اعلامية مزعومة ليس الا بالدرجة الاولى في استخدام مفهوم الحرب النفسية ضد المواطن للتأثير فيه(٥).

ومن الامور التي تكشف اسلوب الترهيب والترغيب الامريكي للاعلاميين والصحفيين في العراق بالعمل ضمن اجندتها الاحتلالية ان القائد الامريكي في قاعدة الفلوجة العقيد ((الن نكلسون)) عرض على بعض الصحفيين العراقيين فتح صحيفة تخصص لها ميزانية ثابتة يدفعها الجيش الامريكي توازي ميزانية اكبر صحيفة في البلاد العربية ومسموح لها نشر الشتائم ضد الوجود العسكري الامريكي، وكذلك نقد السياسة الامريكية المتبعة حيال العراق او المنطقة حيث ان

المطلوب من هؤلاء الصحفيين نشر بعض التقارير التي تحددها القوات والادارة الامريكية وهذا بالطبع يخدم وجودهم الاحتلالي على ارض العراق وهو ما تم رفضه على الرغم من اللجوء الى اسلوب الترهيب بعد ان تجاوز الامر اسلوب الترغيب.

وقد اصدرت منظمة ((مراسلون بلا حدود)) التصنيف العالمي لحرية الصحافة للعام ٢٠٠٨ فحلت دول اوربية في المراتب العشرين الاولى وجاءت ايسلندا في المرتبة الاولى، في حين حلّت الولايات المتحدة في المرتبة الاولى واسرائيل في المرتبة ٤٦، والدولة العربية الاولى هي الكويت التي حلّت في المرتبة ٦١، وتلاها لبنان في المرتبة ٦٦، اما الدول التي تشهد نزاعات مسلحة مثل العراق المرتبة ١٥٨، وباكستان المرتبة ١٥٢ وافغانستان في المرتبة ١٥٦، وبقيت مناطق سوداء في ((عالم الصحافة)) على حد تعبير المنظمة، وشمل التصنيف كما ورد على عدة مواقع اخبارية الفترة الممتدة من الاول من ايلول ٢٠٠٧ الى الاول من ايول ٢٠٠٨ وكان وفقاً لتقرير عنوان ((في عالم ما بعد ١١ ايلول))، ((وحده السلام يحمي الحريات)) الذي يشكل ((الرسالة الاساسية التي سعت مراسلون بلا حدود)) الى بلورتها في نسخة العام ٢٠٠٨ من التصنيف العالمي السنوي لحرية الصحافة بحسب ما ورد في التقرير[٦].

٣- حرية الاذاعة والتلفزيون:

يلزم احاطة الاذاعة والتلفزيون بكافة الضمانات التي تكفل ممارستها في حرية شانها في ذلك شأن حرية الصحافة. غير ان النشاط الاذاعي والتلفزيوني في كثير من الدول يخضع لسيطرة السلطة التنفيذية ويدور في فلك سياستها، ولو ادى ذلك الى الخروج على احكام القوانين العامة والدولية لان الارسال الاذاعي والتلفزيوني لا يعمل في نطاق محلي محدود بل يمتد نشاطه الى العالم الخارجي ودون التأثر بالحدود السياسية التي تفصل بين الدول. ويعني ان الراديو يمكن سماع برامجه من مسافات بعيدة وفي كثير من الدول الاجنبية والارسال التلفزيوني يمكن مشاهدته في جميع دول العالم. وهذا يساعد على تتبع ما يدور على ارض الدولة اولاً بأول وبين لحظة واخرى. وعلى ذلك يجب ان تلتزم كل من الاذاعة والتلفزيون بنظام خاص عند اداء مهمتها الوطنية والدولية ولهذا يخضع كل من البرامج الاذاعية والتلفزيونية الى رقابة وتوجيه واشراف السلطة التنفيذية في الدولة. كل ما تقدم هنا هو اطار نظري حول وظيفة ونطاق الاذاعة والتلفزيون بشكل عام لكن لابد من الاشارة حول اهمية محطات التلفزيون والراديو في تغطية ونقل الاخبار في المناطق التي تنصب فيها المصالح العربية كالحال في العراق وافغانستان حيث كان التركيز الاساسي منصباً على الانشطة التلفزيونية ومحطات الراديو التي يديرها العسكريون والصحف، دون الكشف عن خيوط الارتباط الامريكية وتلك المحطات تنتج مواد الاخبار التي تنسبها في بعض

الاوقات الى ((المركز الاعلامي الدولي)) الذي يصعب تعقبه، وهي طريقة بالطبع تتبعها المؤسسات حين تفلس من مصادر صادقة. لذا تعمد الى تصنيع الحقيقة بتسمية مغلقة الابواب، كما يسميها خبراء الاعلام. بمعنى اخر، من الصعوبة بمكان الوصول اليها لانها هي صاحبة التوجيه ومثل هكذا اساليب تتبع في الاعلام السياسي، وتسمى ((بالصحافة الصفراء)) لانها ذات اغراض سياسية بحتة ومرجعيتها واما دول او مؤسسات مهمة وقد تكون ذات طبيعة استخباراتية. وكما هو الحال مع شركة ((لنكولن غروب)) تدفع الوحدات الخاصة بالعمليات السيكولوجية التابعة للقوات البرية من ان تتم ايصال رسالتها وهي تقدم لمحطات التلفزيون الاموال كي تبث مقاطع دون الاشارة الى من يقف وراءها، او التعاقد مع كتاب من الصحف نفسها، حسبما قال مسؤولون عسكريون[٧]. وتلعب الدور الاعلامي نفسه ((وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية)) فهذه الوكالة تدعم عملياً ما يقرب من ٣٠ محطة راديو في افغانستان لكنها لا تخبر المستمعين بذلك وقد وفرت هذه الوكالة عشرات الالاف من الادوات الشبيهة بـ((أي بود)) الخاص بالراديو في العراق وافغانستان وهي تتضمن رسائل مسجلة عليها مسبقاً لكنها تقوم بكل ذلك من خلال متعاقد يعد بـ((عدم ترك أي اثر لتدخل من قبل الحكومة الامريكية))

ثانياً: الاختراق الاعلامي العربي لقضايا المنطقة العربية:

ان القفزة الهائلة لوسائل الاعلام في العقود القليلة الماضية نحو استعمال تقنيات الاتصال الحديثة قد ادت الى تغييرات بنيوية كثيرة في مؤسسات هذه الوسائل، الا ان هذا التغيير للاسف لم يصاحبه تغيير اخلاقي خاصة عند الغني والقوي وبالتالي فان الحداثة وما يسمى بـ((التقدم)) في مجال الاتصال كانا على حساب القيم وهكذا نرى ان القيم المادية للغني والقوي تسود في عمل وسائل الاعلام. ومن هنا نرى اهتماماً قليلاً بالمسوؤلية الاجتماعية والاخلاقية لوسائل الاعلام الامريكية والغربية.

١- العولمة الاعلامية الامريكية:

ان فشل الاعلام الامريكي في التعامل مع الاحداث والقضايا التي تمس مصالحه، يتمثل في عجز عن تزويد قرائه ومشاهدته بصورة واضحة وخلفية دقيقة للاحداث مما يؤدي الى تفسيرات متضاربة تختلط منها التغطية الصحفية بالحملات الدعائية.

من يتفحص تغطية الاحداث في وسائل الاعلام الغربية والامريكية في الوقت الحاضر يدرك مدى تقصير هذه الوسائل في القيام بوظيفتها في تقديم المعلومات بصورة صحيحة وغير متحيزة ويمكن المرء ان يرى بسهولة كيف انه في كثير من الاحيان ان يتناقض عرض وقائع الحدث نفسه في الصحافة الامريكية والغربية مع عرضه في صحافة دول العالم الثالث[٨]. وتتفاقم

المشكلة بالتعصب ليس من قبل وسائل اعلام الدول المحرومة والفقيرة بل ايضا من قبل وسائل اعلام الدول الغنية والقوية خاصة بعد احداث ١١/ايلول ٢٠٠١عندما اعلن الرئيس ((جورج بوش)) في جملة ما اعلن ان الاعتداءات على نيويورك وواشنطن تهدد نمط حياتنا.

افترضت اجهزة الاعلام الامريكية التي تضم بالاضافة الى وسائل الاعلام الخاصة مسؤولين وهيئات متخصصة في الادارة الامريكية. ان الثقافة الامريكية هي ثقافة عالمية وان الجميع يطمح الى ان يصبح مثل الامريكيين. فبدأت الحملات تشن على الصحفيين الذين يعتمدون تغطية موضوعية ومتوازنة لاي قضية كانت فجأة انقلبت المفاهيم فاصبح الصحفي الذي ..... التحيز في تقاريره ويتمسك بالموضوعية خائناً لا يحب وطنه وفي رأي المسؤولين وقادة الرأي في امريكا. وبدأت المطالبة بتقييم الاحداث في التقارير الصحفية من خلال ما اسموه ((المصلحة الوطنية)) وهذا الموقف ليس غريباً ففي العام ١٩٧٠ اعلمت الحكومة البريطانية مؤسسة ((بي بي سي)) ((B.B.C)) انها لا تستطيع ان تأخذ موقفا حياديا في صراعها مع الجيش الجمهوري الايرلندي ((IRA)) وان الاراء التي تذيعها يجب الا تتعارض مع قيم واهداف المجتمع الذي تخدم[٩].

النقد الاول والاساسي لطغيان الخطاب الاعلامي الامريكي انه يضع امريكا في تناقض اخلاقي اقتصادي وسياسي مع العالم خاصة مع العالم الثالث.

والنقد الثاني هو استسلام وسائل الاعلام لتحكم المسؤولين والقبول بتقييمهم للاحداث خاصة تلك التي تتعرض للحرب او الارهاب.

ان فشل خطط الدعاية الاعلامية الامريكية وعدم توضيحها لتحركاتها العسكرية ودبلوماسيتها واستراتيجيتها بشكل صحيح للعالم الاسلامي ادى الى خسارتها في ستراتيجيتها ((حرب الافكار في العالم الاسلامي)) وبالتالي فان أي خطة في مجال العلاقات العامة او في مجال الاعلام لا يمكن ان تساعد الولايات المتحدة ان استمرت في انتهاج سياسة خاطئة.

فالسياسة الاعلامية الامريكية التي تنتهجها الان يمكن تسميتها بالعولمة الاعلامية او الثقافية والتي تهدف الى فرض نمط فني وثقافي ومفاهيمي واحد ((حقوق الانسانن الديمقراطية، الارهاب.....)). وفي السياق نفسه يمكن القول بان الولايات المتحدة الامريكية تتحكم في حوالي ٨٠ بالمئة من الصور المبثوثة في العالم، وداخل الاتحاد الاوربي تمثل نسبة الافلام الامريكية المعروضة ٧٥بالمئة مما يعرض في دور العرض، فيما نجد ٥٣بالمئة من المواد المقدمة في قنوات التلفزيون الاوربية البالغ عددها حوالي خمسين قناة غير القنوات المشفرة هي امريكية ايضاً، كما تهيمن هذه الدولة ايضاً على الاخبار والمعلومات المتداولة، فالمؤسسة الصحفية الاولى في

العالم هي "الاسوشيتد برس" الامريكية التي تزود بالانباء والصور ما يناهز ١٦٠٠ صحيفة يومية و٥٩٠٠ محطة للراديو والتلفزيون في مختلف انحاء العالم بالاضافة الى ان ٩٠ بالمئة من واقع شبكة الانترنت هي مواقع امريكية [١٠] كل هذه العوامل اسهمت الى حد بعيد في انتشار النموذج الامريكي لنمط العيش في مختلف ارجاء العالم بل هناك من يذهب الى ابعد من ذلك ليؤكد ان الامكانيات التي يمتلكها هذا البلد في مجال جمع ومعالجة وتوزيع ونشر المعلومات تؤهله لأن يكون احد المرشحين الاوائل لقيادة العالم في القرون القادمة[١١].

٢- الاعلام الغربي وقضية الارهاب في الشرق الاوسط:

تعددت التعاريف حول تحديد مفهوم الارهاب حيث لم يتوصل الفقهاء والباحثين والمتخصصين للاجماع بوضع تعريف محدد له، وهذا الاختلاف يرجع الى انعدام الموضوعية والانحياز في العلاقات السياسية لدولة على حساب دولة اخرى وانقسام اراء الدول حسب مصالحها وتعددت الاسباب والبواعث التي يتمخض عنها الارهاب، فهناك عمليات ارهابية موجهة ضد انظمة سياسية ديكاتورية، وهناك اخرى موجهة ضد جنود الاحتلال، وهناك ايضاً عمليات ارهابية موجهة ضد المدنيين وذلك باستخدامهم كورقة ضغط على بعض الحكومات والدول من اجل الحصول على مكتسبات سياسية او لتحقيق اهداف معينة[١٢].

يقول الناقد الامريكي مايكل بارينتي في كتابه " اختراع او فبركة الحقيقة" [١٣] ان تحديد من هو ارهابي ومن ليس ارهابياً امر تقرره سياسة وسيلة الاعلام التي تضعه ،فحرب العصابات الشعبية تصفها وسائل الاعلام الغربية عادة بالارهابية، بينما يوصف المرتزقة في انقولا ونيكاراغوا وموزمبيق من توظفهم وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية (CIA) بالثوار. وهذه الوسائل تنعت عمل الدول اليسارية التي تدافع عن نفسها في وجه هؤلاء "الثوار" بـ " ارهاب الدولة" ، ولاتستعمل هذا النعت لما تقوم به الولايات المتحدة من كبت للحركات التحررية الشعبية في العديد من الدول.

ان التعريف الامريكي للارهاب يبقى معلقاً وخالياً من أي بعد تاريخي ومن غير تعريف لفعل الارهاب. التعبئة الامريكية في وسائل الاعلام ادت الى طغيان رؤية الحرب على الارهاب كما يراه المحافظون الجدد الذين يسيطرون على الادارة الامريكية، وكذلك طغى الطابع او الصورة الدينية (الاسلامية)، والعربية بالتحديد على وصف الادارة الامريكية وابواقها من وسائل اعلامية وكتاب رأي على الارهاب. وانعكس هذا الوصف كذلك على الصورة النمطية والتعليقات التي تقدمها وسائل الاعلام الامريكية، مما ادى الى ربط الارهاب بالمسلمين والعرب وتعزيز روح وطنية شعبيه باتت تميل الى العنصرية لا الى التمسك بقيم ديمقراطية.

ما يدعو الى الاسف هو انما يعتبر عنيفا من الافعال يعكس عادة الاجماع المجتمعي.والصور التي ترسمها وسائل الاعلام الغربية لـ((العنف)) ((الاسلامي)) و((العربي)) تتأثر بالمعاني الثقافية السائدة لتعابير((العرب)) و((الاسلام)) و((العنف)).

لقد كشفت احداث ١١/ايلول/٢٠٠١عن مدى هيمنة القوى الحكومية الامريكية الفاعلة على وسائل الاعلام وتمكنها من فرض نظام جديد لعمل هذه الوسائل بعيدا عن العدالة والدقة. وهنا بعض الامثلة: ذكرت واشنطن بوست ان رئيس((سي. ان. ان)) (C. N .N) والترازاكسون، طلب من مراسلي مؤسسته ان يذكرو جمهورهم بالامريكيين الذين قتلوا في احداث ١١/ايلول كلما تكلموا عن الاصابات المدنية في افغانستان(٧).

نادرا ما يحصل الجمهور الغربي، خاصة الجمهور الامريكي من مسؤولية او من وسائل اعلامه على تفسيرات متعمقة وخارج الصور النمطية السطحية للاحداث العنيفة. ان احداث ١١/ايلول وما نتج منها مما يسمى ((الحرب على الارهاب)) وقد استحدثت مصطلحا امريكيا جديدا يصف ما تقدمة وسائل الاعلام الغربية حاليا. وهذا المصطلح هو ((Militianment)) الذي يشكل مزيجا من كلمتي ((Military)) العسكري و((Entertainment)) (التسلية). للاشارة الى واقع ما يجري تقديمه الى الجمهور الغربي خصوصا الى جمهور شاشات التلفزيون(١٤).

ان التشديد على استعمال تعبير ((١١/ايلول)) بدلا من((الهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاغون)) هو نوع من اللعب بالصورة او الوصف الذي تتقنه امريكا. فاستعمال اللفظة الاولية او الكلمات المركبة هو من التقاليد الامريكية في التعبير. وتكمن الاهمية هنا في نقل التصور للحدث، فبدلا من تصور انهيار رمزي الجبروت الاقتصادي والعسكري الامريكيين، يتحول المرء الى يوم معين ربطه الاعلام الامريكي بهجوم غادر ادى الى الآف القتلى الذين تتشدد وسائل الاعلام الامريكية على نشر اسماءهم وعرض الصور المأساوية التي نتجت من موتهم.

بعد هذه الاحداث غدت الموضوعية والتوازن في التقارير الاخبارية عملا سيئا وبدا قادة المؤسسات الامريكية الصحفية في امريكا يطالبون الصحف بان يقدم تقيمه للاحداث من خلال الخبر، فلا يكتفي بعرض وقائع الاحداث بصورة حيادية كما تفترض ذلك المبادئ الصحفية التي تدرسها المعاهد الاعلامية الغربية.

٣- الاحتلال الامريكي للعراق:

بات الاعلام يشكل واحدة من ابرز حلقات الصراع الدولي في العصر الحديث، حيث من المعلوم ان انطلاق الصراع الحقيقي للدول يبدأ بفضاء الاعلام الواسع. ان هذا الاستقرار في توصيف الاعلام واهميته جعلنا نخضعه لواقع التجربة المريرة في العراق في اثناء الحملة الامريكية

التي بدأت في بداية تسعينيات القرن الماضي بصياغة ستراتيجية اعلامية للشروع بها قبل الغزو والاحتلال، واذ ان المحتل الامريكي كان حريصا في هذه الاستراتيجيه على تلازم الخطة العسكرية والاعلامية قبل وبعد الحرب ومحاولة استثمارها لاختراق العقول والنفوس. حيث ان من المسلمات التي كان الصحفيون يلمسونها كل يوم قبل الاحتلال والغزو ان محاولات غربية وامريكية خاصة حاولت اجتذابهم الى حاضنتها مستغلة ظرف الحصار الاقتصادي الذي ضاق العراقيون ذرعا به وخلف فقرا بين جميع شرائح المجتمع العراقي لعلها تحصد ثماراً ايجابية للمخطط الامريكي في اختراق الاعلامي. ومع دخول الاحتلال الى العراق جرت محاولات لتنشيط ونشر لبرنامج الدعائي الذي تبنته الادارة الامريكية لتلميع صورة الاحتلال ومنع تفشي الكراهية ضد الامريكيين في المنطق العربية، حيث تم وضع برامج عديدة بعد احتلال العراق تهدف الى اقناع العرب والمسلمين بان الهدف ليس الاحتلال ونهب ثروات العراق، بل نشر الديمقراطية.

لقد اكدت وكالة رويترز يوم ٩/نيسان/٢٠٠٤[١٥]، وجود هذه الحملة الجديدة نقلاً عن مسؤولين امريكيين وقالت ايضاً: ان تفاصيلها ما زالت محاطة بالسرية حيث تم منح عقد الحملة الاعلانية الى مجموعة شركات تضم ((بوتيفزكوميو نيكيشنز)) ومقرها لندن و((بتيس بان غالن)) ومقرها بغداد. حيث اكدوا رؤساء هذه الشركات بان الهدف هو ((حمل الناس على الاعتقاد بان الديمقراطية قادمة بالفعل. وسبق الحملة تخصيص ادارة وميزانية امريكية للاعلام والترويج لمفاهيم وسياسات واشنطن عبر سلسلة من المجلات والصحف والمدعومة امريكياً. مثل مجلة هاي و((اذاعة سوا)) وانتشار محطات فضائية مثل ((الحرة)) الى جانب دعم صحف ومجلات اخرى بدعم مالي مباشر، واستضافة صحفيين واعلاميين عرب من برامج تدريبية امريكية[١٨].

اما فيما يتعلق بنشر الاخبار فقال الجنرال ديفيد بركينز كبير المتحدثين باسم القوات الامريكي في العراق وان الاخبار المتعلقة باعمال العنف تحتل مكان الصدارة. اما الاخبار الاقل اثارة، مثل الانتخابات فلا تحظى بتغطية واسعة في وسائل الاعلام الغربية وهناك العديد من التطورات الجارية والشديدة التعقيد التي تتطلب في الواقع منهجاً لتفصيلاتها وتعقيداتها كي تتم تغطيتها. فعندما يقع انفجار يلقي فيه ٢٠ شخصاً مصرعهم، لا تقتضي الحال كثيراً من الفهم لتداخلات ذلك الحدث في البلاد.

وبهذا وبعد مرور اكثر من ٧ سنوات على الاحتلال الامريكي للعراق الذي جرى احتلاله في اسابيع قلائل، لكن احتلال العقل العراقي لم يكن بالمقاييس الاعلامية والثقافية والنفسية والسياسية سهلاً على الادارة الامريكية رغم التهه الاعلامية المتطورة وجهازه الدعائي النفسي البارع، ومؤسساته الكبرى في الاعلام والعلاقات العامة وممارستها في الحرب النفسية. وقد عبرت سنوات

المواجهة عن فشل هذه الاستراتيجية الثنائية الاعلامية العسكرية وتفوق المجتمع العراقي على امريكا اعلاميا في طرح الصورة والمعلومة المفسرة لها في فضاء الاعلام لتوظيف وسائل الاعلام الدولية لصالحه انطلاقاً من الاهمية الفائقة لقيمة المعلومة وسط تنافس محموم للاعلام الدولي طبقاً للمهنية ي نقل الاحداث وتفسيرها.

٤- القضية الفلسطينية:

ان التمايز في المصالح بين اوربا والولايات المتحدة قد بلغ حد بناء هياكل لإنقاذ استراتيجيات مختلفة لكل منهما. كما يبرز التركيز الاعلامي الاوربي والامريكي على القضية الفلسطينية كقضية محورية في اعادة ترتيب مصالح كل منهما في المنطقة. لقد اظهرت دراسة قامت بها في ايار ٢٠٠٤ جماعة وسائل اعلام في جامعة غلاسكو البريطانية[١٧] وان افتقار الجمهور الى تفهم ازمة الشرق الاوسط يتفاقم بتغطية وسائل الاعلام لهذه الازمة. فنادرا ما يقال للمشاهدين ان الفلسطينيين هم ضحايا الاحتلال العسكري الاسرائيلي. وكذلك نادرا ما يقدم تفسير للمشاهد عن معنى تعبير ((الاراضي المحتلة)). واظهرت الدراسة ان ٩٪ من الشباب الذين تم استبيانهم يعلمون ان الاسرائيلين هم محتلون، وكذلك ((مستوطنون)) غير شرعيين. وتشير الدراسة الى ان الاختيار الانتقائي للغة واضح، فعند ذكر الموتى الاسرائيليين تستعمل على وجة الحصر تقريبا التعابير"جريمة"، "وحشية"، "ارهاب". البرفيسور جورج فيلو. المشرف على الدراسة. ان فريقه لم يجد في أي تقرير صحفي ما سيشير الى ان ((هجوم الفلسطينيين هو رد على اغتيال المقاومين للاحتلال الاسرائيلي))[١٨].

وبالتالي فان اغلب ما يحصل علية الجمهور العربي هو على شاكلة التصريح الذي تفوه به وزير الدفاع الامريكي رامسفيلد في مؤتمر صحفي في البنتاغون بان((اسرائيل)) قد كسبت الحرب وبالتالي يحق لها ان تقيم مستوطنات على ما سمي ((الاراضي المحتله))[١٩]. ان الخطر في الامر ان الادارة الرسمية الامريكية اصبحت تعرف المنطقة العربية والاسلامية بانها الموقع الرئيسي للعدو في حربها على الارهاب. الادارة الامريكية وابواقها تبنت تعريف اسرائيل للصراع في فلسطين بان ((ارهاب)) وليس مقاومة مشروعة للمحتل، بل انهم اعتبروا ما يقومون به المحتل الاسرائيلي جزءا من حرب امريكا العالمية على الارهاب. ووصفوا التدمير الاسرائيلي للمدن والمحميات الفلسطينية بانه شكل من اشكال الدفاع عن النفس.

ثالثاً: الاعلام العربي وادوات الضغط السياسية:

تقوم الاستراتيجية الغربية والامريكية على سياسة قائمة حول تكميم الاعلام العربي حيث ان الخطة الاعلامية الامريكية عموماً تقوم على الترويج والدعاية للاحتلال والوجه الاخر لها هو حصار وسائل الاعلام العربي التي تنشر حقائق وصوراً عن الانتهاكات الامريكية في العراق وافغانستان وغوانتانامو والاسرائيلية في فلسطين والتهديدات من قبل القادة العسكريين الامريكيين لبعض القنوات الفضائية العربية كحملة ضغط سياسية وعسكرية كبيرة.

١- الرأي العام العربي والامريكي كأداة ضغط سياسية:

يلعب الرأي دوراً حيوياً في الانظمة الديمقراطية الغربية ويمكن ان يتجه الاعلام العربي للرأي العام الامريكي من اجل كسبه الى جانب القضايا العربية، كما ان هناك ايضا الرأي العام العربي الذي له تأثير ايضاً على تشكيل السياسة الخارجية العربية والامريكية. والغرب حساس تجاه الرأي العام العربي الذي بدوره له علاقة كبيرة مع الاعلام ووسائله السمعية والبصرية.

وليعزز هذا الرأي تأسيس الولايات المتحدة اذاعة ((سوا)) التي تحاول تجميل صورة الولايات المتحدة، اضافة الى انتشار المحطة الفضائية ((الحرة)). لاشك في انها تحاول غسل دماغ المواطن العربي والتأثير في الرأي العام العربي الاسلامي، لكن الدلائل تشير اليها هذه المحطات الاذاعية والفضائية ان العالم العربي لا يثق فيها.

لذلك فان الحكومات العربية ومؤسسات المجتمع المدني يمكنها التركيز على استغلال الرأي العام العربي وحشده ضد الادارة الامريكية. ولكن للحكومات العربية ان تسمح بتحرك النقابات والاحزاب السياسية والمنظمات الاهلية ووسائل الاعلام العربية ان تمارس حريتها في انتقاد الولايات المتحدة ، لانها وسيلة ضغط مهمة على الادرة الامريكية التي تشعر بالقلق على تدهور سمعتها في المنظمة العربية من خلال قياسها للرأي العام العربي والاسلامي[٢٠].

ولا يقتصر الامر على الاستفادة من الرأي العام العربي للضغط على الادارة الامريكية والتأثير فيها. بل يمكن ايضا التأثير في الرأي العام الامريكي عن طريق تحشيد وسائل الاعلام العربية والمحطات الفضائية العربية وتغطيتها الشاملة للاحداث بشكل يلفت انتباه الرأي العام وهي تنقل الخروقات الامريكية والاسرائيلية لحقوق الانسان من قتل واعتقالات وحملات استهداف ضد المدنين في العراق وفلسطين غير المبررة بدعوى انهم قد يكون إرهابيين وفحوى الموضوع ان الحكومات الغربية والامريكية اتبعت لغة التأديب مع الوسائل الاعلامية العربية الجرئية وتكميم الافواه التي تفضح وتنشر اخبار المغامرات الامريكية في العالم وفضائح التعذيب والسجون السرية واستخدام الاسلحة الكيميائية الخاصة بوكالة الاستخبارات المركزية ((C.I.A)).

وهذه الفكرة وتسويقها بهذا الشكل، قد تحقق نصف النتائج الموجوه منها. اذ انها ستجعل وسائل الاعلام العربية كافة خائفة من الصفعة او الصفعات الامريكية التي قد تتلقاها على ذنوبها. وهي بالطبع رسالة امريكية الاخضاع وسائل الاعلام العربية وبالاخص النزيهة منها واجبارها على الانصياع والطاعة واغماض العيون عما تحدث من جرائم في العالم(٢١).

حيث يمكن لوسائل الاعلام ان تعرض هذه الحقيقة لصالح الرأي العام العربي وتسديد الضربة واستباق اختراق الاعلام الغربي من فبركة الرأي العام لصالح سياستها التوسعية.

٢- الديمقراطية وحقوق الانسان كوسيلة ضغط سياسية:

تتغنى الولايات المتحدة عبر تاريخها بتمثال الحرية والقيم والمبادئ الامريكية. وبانها واحة الديمقراطية في العالم وراعية حقوق الانسان وتروج هذه عن طريق وسائل الاعلام ولكن هذه القيم والمبادئ اصبحت الان محل استفهام بين شعوب العالم. وكذلك يمكن لوسائل الاعلام العربية ان تنقل نقطة الضعف التي تعانيها الازدواجية الامريكية من اجل الضغط على السياسة الامريكية في انها لا تتمتع بالمصداقية على ارض الواقع. اذ تدعي الولايات المتحدة انها راعية الديمقراطية وتحاول ان تنشرها عن طريق وسائل اعلامها الكاذب ووكالاتها الاخبارية. كما ادعت بانها تريد جعل العراق واحة الديمقراطية بعد احتلاله. ولكنها في الواقع قد فشلت في ذلك وكشفت عن وجهها الاستعماري القبيح. وكذلك في سياسة التصفية والارهاب التي تمارسها اسرائيل في فلسطين المحتلة. كذلك يمكن مهاجمة الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين في مبادئها وفي قيمتها التي تعتبرها عامل قوة لها على المستوى العالمي من خلال تغطية شاملة وواسعة للاعلام العربي وجميع محطاته الفضائية الاعلامية ونشر كل اكاذيب السياسة الغربية.

ان الولايات المتحدة قد استعملت حقوق الانسان كورقة سياسية واعلامية لتشويه صورة العرب والمسلمين واعتبار هذه المقدمة كورقة ضغط على العالم العربي والاسلامي. ويمكن لمؤسسات المجتمع المدني العربية وجماعات الضغط ووسائل الاعلام العربية ان تنتقد الازدواجية الامريكية على اعتبار عدم مصداقيتها. وانها لا تصلح لان تكون مثالاً يقلده العالم العربي، لانها ليست ذات مصداقية على ارض الواقع، وهذا يشكل نقطة قلق وضعف في السياسة الغربية وبالاخص الامريكية ولسمعتها على المستوى العربي الاسلامي.

ان منظمات المجتمع المدني والاحزاب السياسية ووسائل الاعلام معينة بالهجوم الثقافي على الاطروحة الدعائية بان الديمقراطية وحقوق الانسان يجب ان يكون لهما مصداقية في داخل الولايات المتحدة نفسها،وان تكون قوانين الحرية بعيدة عن العنصرية وبخاصة ما تم بعد احداث ١١/ايلول/٢٠٠١ من التميز ضد العرب والمسلمين اضافة الى تأييد الارهاب الإسرائيلي ضد

الفلسطينيين وما يحدث من انهاء لحقوق الانسان في العراق وفي ظل الاحتلال الامريكي ، واننا في الواقع امام حملة ترويج دعائية لمفاهيم وقيم يجب ان تظهر مصداقيتها في بلدها اولاً وان تظهر ايضاً في سلوك البلد السياسي من تاييد حقوق الشعب الاخرى وحق تقرير مصيره.

لذلك عندما تتكلم الدبلوماسية الأمريكية ووسائل الاعلام الغربية على جلب الديمقراطية الى المجتمعات الاسلامية، فان هذا ينظر اليه على انه لا يعد وان يكون نفاقاً،ومن وجهة نظر المسلمين فان الاحتلال الامريكي للعراق وافغانستان لم يؤد الى الديمقراطية هناك، بل الى الفوضى والمعاناة .

٣- وسائل الاعلام والضغط السياسي:

عندما اطلق مارشال لوكان تعبير القرية الكونية في الستينات بعد انتشار التلفزة وقد دفعه الى قول ذلك، نقل وسائل الاعلام مشاهد حرب فيتنام، حيث ان الولايات المتحدة انهزمت فيها اعلامياً وليس عسكرياً بفضل نقل الاعلام الامريكي فظاعة الجرائم الامريكية ضد الشعب الفيتنامي، فاننا اليوم في مصير الفضائيات وشبكات الانترنت التي تنقل ما يحدث من انتهاك لحقوق الانسان مباشرة[٢٢].

ونلاحظ ان الولايات المتحدة استفادت من ظهور وسائل الاعلام على سياستها واثارة الرائ العام الامريكي العالمي ضدها، لذلك فرضت قيوداً شديدة على نقل العمليات العسكرية وصور القتلى وانتهاك حقوق الانسان في الصحافة الامريكية المكتوبة والمسموعة والمرئية. وكذلك نجد ان الولايات المتحدة قد استهدفت مكتب الجزيرة في كل من افغانستان وبغداد بسبب نقلها الاحداث مباشرة، ما أقلق الحكومة الامريكية خوفاً من اثارة الرأي العام الامريكي والعربي ضد السياسة الامريكية في العالم العربي والاسلامي، وكذلك اظهار صور القتلى من الامريكيين، وهذا ما لا تريده الحكومة الامريكية التي شنت حربها على افغانستان والعراق. ونجد اسرائيل ايضاً استهدفت قتل الصحافيين والمراسلين الاجانب بسبب تغطيتهم الاعلامية التي بينت ان اسرائيل دولة تسبب عدم الاستقرار في العالم بحسب استطلاعات الرأي العام الغربي.

وقد عبر الصحافي الاسرائيلي ((امنون روبنشناين)) في صحيفة ((هآرنس)) عن تشبيه وسائل الاعلام الاوربية افعال اليهود في فلسطين بما عملته النازية باليهود ويقول: روبنشناين: ((لقد دخل الى وسائل الاعلام جيل شاب من المثقفين ترعرع على النضج والتوجيه المناهض للاستعمار ويرى في ماضي القارة جملة من الجرائم المناهضة للاخرين من سكان العالم الثالث. اسرائيل التي تحتل المناطق منذ اربعين عاماً اقامت خلالها مستوطنات ذات نظام قانوني منفصل،

تبدو جزءاً من ذلك الماضي الكولونيالي الاوربي المظلم. الولايات المتحدة تدخل في هذا المقياس التطبيقي بسبب احتلالها العراق[٢٣]ز

ونجد ان الولايات المتحدة قد مارست ضغوطاً كبيرة على الحكومات العربية لمنع الفضائيات العربية من نقل صور الجرائم الاسرائيلية وحتى الامريكية خوفاً من الرأي العام، كذلك فان الاعلام وسيلة حيوية للضغط على الولايات المتحدة، وذلك بتشجيع الفضائيات العربية على نقل الحقيقة على ارض الواقع كما هي، وقد حققت الكثير من الفضائيات العربية نقله نوعية في اثارة الرأي العام العربي.

واذا تم ايضا تخصيص برامج بالانكليزية على الفضائيات العربية وباللغات الغربية الحية. فان ذلك يحقق وسيلة مهمة حيوية لعزل الولايات المتحدة، وبيان الصورة الحقيقية لسياستها، ما قد يجعلها عرضه للادانه من المنظمات الشعبية في العالم. وهذا ما لاحظناه في استطلاعات الرأي العام الاوربي حول خطر اسرائيل على الامن والسلام في العالم اجمع، وليس في الشرق الاوسط.

ان ما يتعلق الحكومة الامريكية تحولات الرأي العام بسبب ما تنقله الفضائيات، وكذلك نجد معظم الدراسات تحذر الادارة الامريكية من مخاطر ذلك على الامن القومي الامريكي، وهذا ما يدفعنا لتأكيد اهمية تشجيع وسائل الاعلام، والخاصة الفضائيات للضغوط على الولايات المتحدة من اجل تعديل سياستها الخارجية.

٤- وكالات الانباء العالمية الكبرى:

صحيح ان معظم وكالات الاخبار العالمية ما زالت تتحكم في مجال انسياب الاخبار وفي تقديم تفسيرها المتحيز للاحداث، وصحيح انه يمكن لهذه الوكالات او الدول ان تؤثر في تغطية احداث خارج المنطقة الجغرافية للصحف المحلية وخارج اهتمامها الثقافي. غير ان امكانية استطاعتها توحيد قبول العالم برؤيتها بعيد الاحتمال، لان وسائل الاعلام ستستمر في اخبار ما تنشره او تبثه وتحرير ما تستلمه من وكالات الانباء بشكل يتناسب مع مفهومها وعقيدتها ومن هنا فان تعبير الارهابي: في خبر من وكالة انباء عالمية لابد من ان يصبح ((فدائياً)) او ((مناضلاً)) او ((مقاوماً)) في الخبر المنشور او المذاع محلياً.

لكن على الرغم من هيمنة امريكا والغرب ووسائلها الاعلامية واستخدامها لتقنيات الاعلام الحديثة، لكن من المستحيل ان تتمكن وكالات الانباء العالمية او حتى الدول او المؤسسات الكبرى المؤثرة في انسياب المعلومات، من تقرير جدول الاحداث العالمية التي تغطيها صحافة اية دولة.

رابعا: وسائل تفعيل الاعلام العربي ضد الاختراق الاعلامي الغربي:

ان الاعلام هو الحياة ولا يمكن للحياة ان تستمر دون اعلام. اننا كلنا بحاجة الى الاعلام لانه في مفهومه المعروف يعني التبصير والتنوير وخلق الوعي لدى الناس. وهذا في اطاره المتواضع المسالم. لكنه في الاتجاه الاخر هو ايضا صراع الافكار والقيم، ويجسد في حالات اخرى دور الجانب المرعب ((اعلام الرعب والخداع)) فالجريدة الصباحية التي نتصفحها يومياً قد تحمل ما يتفق او يختلف مع قيمنا وقناعتنا، واحياناً مع جانب من الحقائق التي ندركها. وقد ياتي ذلك في اشكال مختلفة مباشرة ((في مقال رأي او تحليل او ...)) او بشكل غير مباشر ((في اعلانات او تعليق على صورة ...))، النشرات الاخبارية والتعليقات والبرامج الاذاعية او التلفزيونية التي نتعرف لها في كل لحظة قد تمثل الامر نفسه، فهل نفكر في التفاعل بشكل مختلف مع هذه المتابعات حتى نعدل من اداء الوسائل الاعلامية المختلفة او ندحضها.

ولا بد من الاشارة الى مواقف البعض من الهيئات الاعلامية العربية، وعلى وجه الخصوص اتحاد الصحافيين العرب، وبعض الاتحادات العربية التي يذكر انها احتجت على التغطية الاعلامية للحرب ضد العراق والجدل الذي ثار–رغم حرج اللحظة التي مر بها الوطن العربي حول تغطية الصحف الرسمية والقنوات الفضائية، بما يدفع الى التحليل والمراجعة وظهور فضائيات في وقت متزامن مع الحرب، فرضت نفسها بسرعة مع حركة الاعلام الدولي الى اللحظة هذه بفاعلية.

بعد ذلك برز الاعلام الشعبي المعبر، ومن ذلك تجربة الاعلام البديل، اذ كان وليدا لتلك الاوضاع القاسية، حيث تبناه المواطن العادي للتعبير عن مواقفه، وكذلك المقاومة باستحداث آليات تعامل اعلامية جديدة برزت لتقدم زادها الاعلامي في كل لحظه تتابعا للاحداث الجارية، ثم اخذت تتعامل مع ما يعرف بـ ((المراقبة الاعلاميه)) التي ربما تفرضها اللحظه التي نعيشها مع غيرها من التجارب يمكن ان تجعلنا اكثر قدره على التأثير وهو ما نحتاج اليه اكثر من أي وقت مضى.

ان الاعلام والاتصال، هذا القطاع الهائل، له قدره فائقه على تشكيل الوعي وادارة المواقف،بل ان البعض قال ((ان الاعلام الحديث بات من ادوات الصراع في جانبي الدول، ناقلا لعناصر القوه في الدول وعاكسا لها)) . وقال البعض الاخر ان الاعلام العربي اد دورا مؤثرا تفوق فيه على الدبلوماسية خاصة بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، وما تلها في كثير من الحالات. هذه القدرة الفائقة على التأثير يمكن التعامل معها، والتأثير فيها، اذ ما اخلت بالحرفه والموضعية او اضرت بمصالح وقيم البعض، وهو ما يمكن ان يحدث اذا ما مرر هولاء المتضررون ان يؤثروا في المعالجة والتغطية، ويكونوا شركاء فاعلين في الرسالة الاعلاميه التي تصلهم [٢٤].

وهنا تبرز التجربه لتقول انه يمكن ان تمارس هذه الرقابه لوسائل الاعلام ليس بالمعنى المعهود المقيد للحريات، وانما بما يفترض من تفعيل لدور الاعلام كمتابع وينقل المواطن العربي من التلقي السلبي الى التلقي الايجابي، بما يراعي المصالح، ويحافظ على القيم . ومقابل ذالك، ان نكون فاعلين في رد الفعل ال أية مواجهه ضدنا سواء كانت استفزازيه مسلحه او اعلاميه تضليليه كما هو الحال في العراق، امام التحدي للخطاب التضليلي الاعلامي الامريكي _ الغربي.

وهناك صوره اخرى يمكن ان تستخدم في مواجهة التضليل والاختراق الاعلامي الغربي عن طريق الاعلام المقاوم، حيث نستطيع ان نروج الاحداث والمشاهد الى وسط الاف بل ملايين القراء والمشاهدين، كل ذلك ببساطه عبر شبكة الانترنت التي تستطيع ان تحمي صوت الاعلام العربي الى نهاية العالم . صحيح ان العلام المقاوم يعتمد على الادوات البسيطة في نشر خطابة ورسالته التي غلب عليها الطابع المقتضب، فهو اعلام حربي بلا شك وهذا الاخر دفع البعض من المختصين في الحقل الاعلامي الى ان يسموه باعلام التكنولوجيا المتواضعة، او عصر التكنولوجيا التواضع الاعلامي الفاعل[٢٥].

لقد شكل دخول خدمة الانترنت وسهولة التعامل بها لدى جميع المواطنين دون حكر على شخص او جهة او مؤسسة واحدة، احد اهم الانجازات الفكرية التي تحققت في ظل القفزة النوعية لعصر تكنولوجيا الاتصالات في السنوات الاخيرة. وجاء توظيف شبكة الانترنت وانشاء المواقع الاعلامية العربية فيها ليشكل خطوة كبيرة في طريق بناء منابر الاعلام والدعاية والتثقيف في ان واحد وكذلك في توفير امكانات غير محدودة وغير قابلة للاحتواء او الالغاء الكامل من قبل منظومة الحماية الاعلامية الامريكية، المجهزة فكريا وتكنولوجيا لغزو عقلية الانسان العربي. وليشكل هذا الجانب الاعلامي(الانترنت) مصدرا اساسيا من مصادر الاعلام العربي الواسعة الانتشار والبالغة التأثير.

ان انتكاسة الخطة الامريكية الاعلامية والثقافية والعسكرية في العراق بعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣دفع بصناع القرار السياسي في واشنطن الى اتخاذ قرارات ارتجالية على صعيد الاعلام. انتجت الكثير من فضائيات عربية قوية ساهمت الى حد كبير في تعرية الاعلام الغربي وفضح الانسياق والكذب الاعلاميان الذي جاء بضغوط امريكية حيث اتسمت هذه الوسائل الاعلامية العربية بالمهنيه والحرفية ذات القدرة الفائقة على دحض مكونات الاعلام الغربي والامريكي المسيس.

الخاتمة:

ان القول باننا نسير نحو ((قرية عالمية)) فيه الكثير من عدم الواقعية لان كل دول العالم مستمرة في التعامل من خلال نموذجها الخاص مع الاحداث. وهذا النموذج يحدد الاهمية التي تعطيها وسائلها الاعلامية للاحداث، كما يحدد المواضيع التي تتعرض لها او تركز عليها هذه الوسائل. ومن هنا نرى عدم التوازن في تغطية المآسي التي تواجه الابرياء في العالم، خاصة تلك التي تواجه ابرياء العالم العربي والاسلامي. وكذلك نرى ان ((الديمقراطية)) ((والحرية)) ((والكرامة الانسانية)) هي مبادئ توضع على الرف كلما كان ذلك مناسباً للدول الغربية وامريكا. فالنقاش الحر الذي هو اساس الديمقراطية ممنوع في العالم العربي والاسلامي اذا تعارض مع مصالح الدول الغربية والولايات المتحدة الامريكية.

من هذا المنطلق نرى انه لا يجوز تقرير شكل التغيرات البنيوية للحداثة من قبل القوى العالمية المسيطرة. كما تطالب امريكا وبعض الدول الغربية. ان التعبير المطلوب في النظام العالمي الاعلامي الحالي هو الذي يمكن ان يعطي الحكم الاخلاقي اللازم للممارسة الاعلامية المسؤولة، وقد اثبتت امريكا والغرب عموما انها غير مؤهلة لان تكون قدوة في هذا المجال.

من دون نظام اخلاقي عالمي موحد سنرى تفسيرات ومواقف مختلفة من الاحداث والانباء ولن نتوصل الى منطق موحد عالميا. وكذلك لن يكون هناك دقة وعدالة في وسائل الاعلام العالمية.

نستخلص من خلال هذه الدراسة ان الاعلام العربي شكل عنصرا مهما في عالم اليوم واصبح الصراع بين الشرق والغرب يدور في فضاء الاعلام، وهو يسبق المنازلة العسكرية على الارض. ان الولايات المتحدة ادركت بما لا يقبل الشك ان الامكانات الاعلامية والعسكرية والاقتصادية لم تكن وحدها عامل الحسم في فرض الاملاءات دون الاخذ بنظر الاعتبار دور الإرادات الحرة للشعوب في الممانعة والرفض، والدليل على ذلك ان الاستراتيجية الاعلامية الامريكية في ممارسة التضليل التي تبنتها منذ عقود ذهبت ادراج الرياح والاعلام المخادع لم تعد تقع الاذان فريسة له اذا ما توفرت وسائل اعلام عربية توصل الصوت الرافض لكل الخطط الاعلامية والنفسية والعسكرية الامريكية دون خوف على الرغم من استمرار لغة التهديد والوعيد وهو ما يساعد المؤسسات الصحفية الدولية والعربية على ان تمارس حقها في القصص الاخبارية.

الهوامش والمصادر:

١- حقوق الانسان في الوطن العربي، تقرير المنظمة العربية لحقوق الانسان، التقرير السنوي ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ص٣٠.

٢- نفس المصدر، ص٣١.

٣- صباح ياسين، الاعلام، المنسق وهيمنة القوة، بيروت، مركزدراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦، ص٩٥.

٤- حقوق الانسان في الوطن العربي، مصدر سبق ذكره، ص٣٣.

٥- د.حسن عبد الحميد احمد رشوان، الحرية وحرب الصحافة، جريدة الواء العربي، العدد ٣١٣، ٢٠٠٣/٧/٢، ص٢.

٦- منظمة مراسلن بلا حدود، حرية الصحافة في العالم: التقرير السنوي ٢٠٠٨، http://www.rsp.org/Img/pdf/rapport_ar_3.pdf.

٧- صباح ياسين، الاعلام: النسق وهيمنة القوة، مصدر سبق ذكره، ص٩٨.

٨- شاكر الانباري، ثقافة ضد العنف، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد، ط١، ٢٠٠٧، ص,٣٥

٩- نفس المصدر، ص,٤٥

١٠- رضا هلال، امبراطورية لكنها في أزمة، مجلة الوفاق العربي، السنة الثامنة، العدد٣٢، شباط، ٢٠٠٢، ص٣٦.

١١- حنان دويدار، الولايات المتحدة الامريكية والمؤسسات المالية الدولية، مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٧، كانون الثاني ١٩٩٧، ص,١١٩

١٢- نجم الدليمي، هل يحق لامريكا ان تقود العالم، جريدة نضال الشعب، العدد ٦٧٠، ١٩٩٩، ص,٣٠

13-Fair Action Alert: CNN says Focus on civilian Casualties would be "perverse" Washington post، 31/10/2001.

١٤- جان ريبا، ((هكذا اخفقت بي بي سي من استخدام مصطلح ارهاب))، جريدة النهار، ٢٠٠٢/٩/٢٥، ص,٥

١٥- ميلر دايفيد، اكاذيب الدعاية والتضليل الاعلامي في الحرب على العراق، مجلة شؤون عربية، العدد ١٣٦، شتاء ٢٠٠٨، ص٢١٣-,٢٤٧

16- نفس المصدر، ص٢٥٠.

١٧- محمد علي ، مفهوم الشرق الاوسط وتأثيرها على الامن القومي والعربي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢، ص,١٨٨

١٨- نفس المصدر، ص,٢٠٥

١٩- انظر كذلك

John pilger "The pro-Israeli lobby Intimidates to insuv that coverage remains busied in its favor"، Guardian 23 September، 2002، p31.

٢٠- د.حسين عبد الحميد احمد، الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٦، ص٨٧-ص,٩٤

٢١- نفس المصدر. ص,٩٧

٢٢- فيليب تايلور، قصف العقول، الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي، ترجمة سامي خشبة، عالم المعرفة، ٢٥٦، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ٢٠٠٠، ص٣٥٦- ص,٣٧٨

٢٣- امنون رونبشتاين، بهذه الطريقة سكون هناك مقارنة بين الجذر الفاصل وغيتو وارسو واشفينس: وسائل الاعلام الاوربية تقارن بين النازيين واليهود في الحرب العالمية الثانية وبين اليهود والفلسطينيين اليوم، جريدة القدس العربي، ٢٠٠٤/٤/٢ نقلا عن هارنس ٢٠٠٤/٤/١، ص٩.

٢٤- جمال الزرن، تساؤلات عن الاعلام الجديد والانترنت، في اسامه الخولي(واخرون)، العرب وثورة المعلومات، سلسلة كتب المستقبل العربي، ٤٤ بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥، ص,١١

٢٥- نفس المصدر، ص١١٥.